سامح عسكر والدفاع عن المستحيل البدائل كثيرة لكنهم اختاروا إسرائيل

09 أغسطس 2025

سياسة وتاريخ

7 دقيقة قراءة

www.saudieinstein.com

سامح عسكر والدفاع عن المستحيل البدائل كثيرة لكنهم اختاروا إسرائيل



كتب الأسـتاذ سامـح عسـكر مـؤخراً "تـبريراً" لاسـتيراد مصـر الغــاز الإســرائيلي، مســتعيناً بالعبارة الذهبية: "مُجبَر أخاك لا بطل". ثمّة في هــذا التـبرير مـا يــوحي بالجديــة العلميــة؛ لكــنّ التــبريرات الكــبيرة، كــالوعود الكــبيرة، غالبــاً مــا تخفى فراغاً كبيراً.

منذ سنوات ونحن نسمع هذا المبرر الذهبي لكل صفقة غاز مع إسرائيل. عبارة وُلدت لتصف وضعاً استثنائياً، فإذا بها تتحول في القاهرة – وفي مقال الأستاذ عسكر – إلى نظرية حكم، وغطاء دائم لارتباط طويل الأمد مع من كان – على الورق – عدو الأمس.

يسـرد الأسـتاذ عسـكر تسـع نقـاط "مزعومـة" لتبرير هذا الارتباط: قطع السعودية النفط عام 2016، وقطع قطر الغاز عام 2017، وزيادة الاستهلاك المحلى... إلخ. حسنًا، لنعد قليلاً إلى الوراء ونتفحص هـذه "الأسباب" كما تسربت بالصحف. في 2016، السعودية أوقفت شحنات النفط "المجانية أو الميسرة بشروط تفضيلية للغايــة" بســبب خلافــات سياســية، ولا توجــد اتفاقيـات ملزمـة أساسًـا. وفـى 2017، قطـر لـم تمدهم بالغاز أيضًا لعدم وجود اتفاقية ملزمة، ولم تكن تزوّد مصر مباشرة منذ 2013، بل كان الرفض لشحنات إضافية عبر وسطاء، وفي قلب الأزمــة السياســية. بينمــا حتــــى فــــى ذروة المقاطعة الخليجية، أكدت قطر حرصها على استمرار تدفق الغاز للإمارات وفقًا لالتزاماتها.

الحقائق هنا تنطق: لا توجد اتفاقيات ملزمة

كالتي فعلوها مع إسرائيل. ومع ذلك، يكررون الحجة: "مضطرون". فلنفترض جدلاً أن هذا كان صحيحاً آنـذاك... لكن الآن؟ المصالحة مع قطر تمت، العلاقات مع الإمارات ممتازة، والأسواق العالميــة مفتوحــة؛ ومــع ذلــك... الصــفقة الإسـرائيلية مسـتمرة، بـل وتتجــد، وكأنهـا زواج كاثوليكي لا طلاق فيه.

ثمّة مفارقة تستحق التأمل: قطر، أكبر مصدر للغاز في العالم، تبرم عقودًا لعشرين سنة مع الصين وألمانيا. ألم يكن بالإمكان توقيع عقد ملزم معها يضمن أمن الطاقة لعقدين ويغلق هذا الباب نهائيًا؟ أم أن اتفاق الغاز الملزم يصبح "مباركًا" فقط إذا مر عبر عسقلان؟

والحال أنّ الإمارات، حليف سياسى واقتصادى

وثيق، لديها فائض تصدير، وعلاقتها بمصر أكثر من ممتازة، وها هي تشتري الأصول المصرية صباح مساء؛ وبسخاء. الجزائر، تملأ أنابيبها أوروبا بالغاز العربي. روسيا، تعـرض خصومـات منـذ الحـرب الأوكرانيــة. أســتراليا، نيجيريــا، ماليزيـا، موزمبيق... تسع عشرة دولة تصدر الغاز المسال في العـالم، لكنـك إذا سألت في القـاهرة عن البدائل، ستجد خريطة العالم تنكمش لتصبح "إسرائيل أو الظلام"

بيـد أنّ المشهـد الكوميـدي يصـل ذروتـه حيـن يطرح الأستاذ عسكر – بجدية مدهشة – فكرة أن شراء الغاز من إسرائيل "ورقة ضغط" على تل أبيب. والحال أنّ هذا تفسير يُذكرنا بمن يقول إن إطعـام اللـص يجعلـه يكـف عـن السـرقة! أي ضغط يـا أسـتاذ وأنتـم الطـرف الـذي يحـول المليارات كل عام إلى خزينة الاحتلال؟ الضغط الوحيد الذي رأيناه كان في خريف 2023، حين أغلقت إسرائيل الصمام أثناء حرب غزة، فانطفأت الكهربـاء فـي مصـر وتـوقفت المصـانع. ورقـة الضغـط الوحيـدة هنـا كـانت فـي يـد نتنيـاهو... على رقبة القاهرة، وليس العكس كما يتوهم كاتبنا المحترم.

لعلّ أكثر ما يُثير السخرية في "غرائب" الأستاذ عسكر هو زعمه أن مصر "هي المسؤول الأول لتقديم نتنياهو مجرماً أمام المحكمة الجنائية الدولية"، بينما هي في الوقت نفسه تدفع له المليارات! والحقيقة أن مصر ليست عضواً في المحكمة أصلاً، ومن قدّموا الطلب دول أخرى

معروفة. لكنها لقطة إعلامية جميلة، يبدو أن كاتبنا يحاول تمريرها وكأنه يكتب منشورًا على فيسبوك، تجعل المواطن – والكاتب المحترم – يتخيـل أن نفـس اليـد التـــ توقـع شيـك الغــاز بالحولار، هـــــــ اليـــد التـــــ تطـــرق بــاب لاهـــاس مطالبة بمحاكمة من قبض الشيك. مشهد يصلح لفيلم من نوع "كوميديا سوداء – إنتاج مشترك". ذاك أنّ الأستاذ عسكر ينهى مقاله بجملة دالة: "شخصياً أنا غير راض عن القرار، وأبرأ إلى الله من أس جنيــه أو دولار نــدفعه للخزينــة الصــهيونية الملعونة، لكنى فى ذات الوقت كأى مصرى نقدر قرار الدولة". هنا نرس المثقف المتلون في أبهــــ تجليــاته: يكتــب تســع نقــاط "بظاهرهــا علميـة" لتـبرير القـرار، ثـم يختتـم بــ"براءة ذمـة" شخصية منـه! كأنمـا يقـول: أنـا مقتنـع عقليـاً، لكنني غير راضٍ قلبياً. فن إخوانجي أصيل، صُقل على مدار عشرين عامًا من عضوية التنظيم، ثم أعيــد تغليفـه بطلاء "البراغماتيــة" بعــد تغييــر التموضع السياسي.

ولا يجوز أن نتجاهل توقيع الاتفاقية عام 2018 الذي شهد احتفالاً إسرائيلياً علنياً. نتنياهو وقف أمام الكاميرات مبتسماً وقال: "اليـوم عيـد"، وشرح بفخر كيف ستجني إسرائيل مليارات من الصفقة مع مصـر. نحـن هنا أمام حالـة نادرة: الطرف الآخر لا يكتفي بقبض الأموال، بل يحتفل علناً بأنـك تـدفع لـه، وأنـت فـي المقابـل تـبيع لشعبك قصة "استقلال وسيادة".

ولعلّ أطرف ما فى تبرير الأستاذ عسكر هو

حديثه عن "حفظ الكرامة" و"عدم طلب العون من الأشقاء مرة أخرى". كلام جميل يُذكرنا بأغنية "أخاصمك آه أسيبك لا"! فبينما يتحدث الرجـل عـن الكرامـة والاسـتغناء عـن مساعـدات الأشقـاء، نجـد أن مصـر اسـتقبلت مساعـدات وودائع سعودية وإماراتية بمليارات الـدولارات منذ 2013 وحتى اليوم – بما في ذلك 2016 وما بعدها التي يتحجج بها – ووقعت صفقة رأس الحكمة الإماراتية. أم كرامة هذه؟ "حبكت في موضوع غاز إسرائيل يعنى قصة الكرامة"؟ راهناً، يلوح لنا أن مرحلة "المُجبَر" – التي يصر عليها الأستاذ عسكر – انتهت منذ أن تـوفرت البدائل. فقطر تجاوزت خلافاتها مع القاهرة منذ سنوات، والإمارات وثّقت علاقاتها الاقتصادية معها، وموسكو تعرض غازها بأسعار مخفضة منذ بدء الحرب الأوكرانية. بل إن الجزائر المجاورة، والعراق الشقيق، وإيران المتربصة للتقارب – إن وجــدت النيــة السياســية – كلهـا تملـك فـوائض طاقة لا تحتاج لـ"وساطة" عسقلان. ومعهم 19 حولة أخرى على الأقل.

لكن يبدو أن العقل الرسمي المصري – ومن يؤازره من الكتّاب المحترمين – استراح إلى هذا الخيار تحديداً. ليس لأنه الوحيد المتاح، بل لأن وراءه مصالح لا نعلمها. وعبارة: "نحن مضطرون، ولا خيار أمامنا" تُغني عن ألف خطاب في شرح الدوافع الحقيقية وراء الاختيار.

وهكذا، من عبارة "مُجبَر أخاك" التي بدأ بها مقال الأستاذ عسكر، تنتهي الحكاية إلى هوية مختـارة، لا اضطـرار مفـروض. سـموها باسـمها الحقيقي، وكفوا عن تمثيل دور الضحية وأنتم من يوقّع العقد!